على قـــبر زوجها

للأستاذ محمود الخفيف

صَلَّتْ لدَى أَحْجَارِه خَاشِعَهْ ... يَا قُدْسَ هَذِي الصَّلَاهْ
اللهَ لِلزَّائِرَةِ الجَازِعَـــهْ ... كَمْ هَدْهَدَتْهَا يَدَاهْ
تَطُوفُ فِي نَظْرَتِهَا الضَّارِعَهْ ... بِنَفْسِهَا كُلُّ طُيُوفِ الحَيَاهْ
والصَّمْتُ فِي وَقْفَتِهَا الرَّائِعَهْ ... يَا عَيْنُ لَا يَبْلُغُ نُطْقٌ مَدَاهْ !

كَمْ يَسْحَرُ الأَنْفُسَ هَذَا الجَمَالْ ... بَيْنَ الضُّنَى وَالحُزَنْ
كَأَنَّمَا تُبْرِزُ تِلْكَ الظِّلَالْ ... من سِرِّهِ ما كَمَنْ !
وَالمَوْتُ يُلْقِي مِن سِمَاتِ الجَلَالْ ... ما عَلِقَ القَلْبُ بِهِ وافْتَتَنْ
مَا كَانَ إِلَّا الصِّبَى والدَّلَالْ ... والحُبُّ وَالزِّينَةِ هذا البَدَنْ

وَاهًا لِهَـذَا المُلْهَمِ القَادِرِ ... السِّحْرُ فِي رِيشَتِهْ !
لَوْ طُفْتُ بالوَاقِعِ لا الخَاطِرِ ... ما زاد عن صُورَتِهْ
لا يَنْثَنِي عَنْ سِحْرِهَا نَاظِرِي ... إِلَّا هَفَا قَلْبِي إلى رُؤْيَتِهْ !
كَمْ تَلِدُ الأَوْهَامُ فِي الشَّاعِرِ ... فِي سَمْحَةِ الفَنِّ وفِي لَمْحَتِهْ

وُجُومُ هَذِي الغَادَةِ المُطْرِقَهْ ... كَمْ رَفَّ قَلْبِي لَهُ
أَلْمَحُ فِيهِ لَهْفَةً مُوبِقَهْ ... تَرْمِيمُ لِي هَـوْلَهُ
فِي شَفَتَيْهَا لَوْعَةٌ مُحْرِقَهْ ... من فَادِحٍ ما جَزِعَتْ قَبْلَهُ
مُمْسِكَةٌ إِيَّاهُمَا مُطْبِقَهْ ... فِي مَوْقِفٍ مَا إِنْ رَأَتْ مِثْلَهُ

يَا رَحْمَتَا لِلزَّوْجَةِ الثَّاكِلِ ... تَأْسَى عَلَى إِلْفِهَا
ذِكْرَاهَا عَيْشَ الهَوَى الزَّائِلِ ... يَزِيدُ فِي لَهْفِهَا
والوَجْدُ فِي هَيْكَلِهَا النَّاحِلِ ... تَحْمِلُهُ ضَعْفاً عَلَى ضَعْفِهَا
كَمْ عِنْدَ هذا الأَثَرِ المَاثِلِ ... تَبْتَعِثُ الوَحْشَةُ مِن خَوْفِهَا

إِلَّا تُرِقْ دَمْعًا عَلَى قَبْرِهِ ... فَقَلْبُهَـــا دَامِعُ
كَمْ حَاوَلَ الدَّمْعَ فَلَمْ يُجْرِهِ ... مِنْ فَرْطِهِ جَازِعُ
ما يُشْبِهُ الصَّبْرَ عَلَى ثَغْرِهِ ... والهَمُّ فِي أَحْشَائِهِ لَاذِعُ !
لَوْ بَاحَ بالمَكْنُونِ مِن سِرِّهِ ... ما مَلَكَ الدَّمْعَ لَهُ سَامِعُ

قَدْ خَتَمَ المَوْتُ عَلَى حُبِّهِ ... فَمَا لَهُ مِنْ فَنَاهْ
يَا وَجْهَهَا ما إِن تَبَدَّتْ بِهِ ... إِلَّا مَعَـــانِي الوَفَاهْ
يَا صِدْقَ هذا الحُبِّ فِي هَذْيِهِ ... يَا رَوْعَةَ الوَجْدِ بِهِ والوَلَاهْ !
أَحْسِبُ هذا القَلْبَ فِي وَثْبِهِ ... يَخْفِقُ لَا فِي الأَرْضِ بَلْ فِي السَّمَاهْ

عَزَاؤُهَا فِي الأَرْضِ هذا الأَثَرْ ... تَسْعَى لَهُ زَائِـــرَهْ
يَا حُفْرَةً مِنْ تَحْتِ هَذَا الحَجَرْ ... طَـــافَتْ بِهَا نَاظِرَهْ
يَا وَطَرًا مَا مِثْلُهُ مِنْ وَطَرْ ... تَحْيَا عَلَيْهِ الزَّوْجَةُ الذَّاكِرَهْ
أَنَّى لَهَا مِنْ دُونِهِ مُصْطَبَرْ ... فِي عِيشَةٍ بَاتَتْ بِهَا سَادِرَهْ ؟

ذِكْرَانُهَا أَنَّ بِهَذَا التَّرَابْ حُطَامَ أَوْصَالِهِ
كَمْ تَصِلُ القَلْبَ بِهَذَا اليَبَابْ وَهْمٌ أَطْلَالِهِ
يُطْفِئُ هَذَا الذِّكْرُ بَرْحَ العَذَابْ فِي قَلْبِهَا المُسْتَسْلِمِ الوَالِهِ
مَنْ فَاتَهُ فِي العَيْشِ عَذْبُ الشَّرَابْ يَعِيشُ بِالوَهْمِ عَلَى آلِهِ

أَنَّى لَهَا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلُ يَوْمًا بِهَذِي الدُّنَى
مَا إِنْ لَهَا سُؤْلٌ وَلَا مَأْمَلُ بَعْدَ ذُبُولِ المُنَى
هَيْهَاتَ يَفْنَى حُبُّهَا الأَوَّلُ أَيُّ هَوًى يَنْسَخُ هذا السَّنا ؟
مَا حَمَلَ القَلْبُ وما يَحْمِلُ يَرْسِمُهُ لِلْعَيْنِ هذا الضَّنَى

يَا قِطْعَةً مِنْهُ بِهذا الوُجُودْ هَلْ دُونَهُ مِنْ أَمَلْ ؟
تَرِفُّ فِي مِرْآهُ بِيضُ العُهودْ وما انطَوَى مِنْ جَذَلْ
يَا لَمْحَةَ المَاضِي وَرَمْزَ الخُلودْ وَالمُرْتَجَى فِي عَيْشِهِ المُقْتَبَلْ
بِأَيِّ سُؤْلٍ أُمُّهُ لَا تَجُودْ أَيُّ عَنَاءٍ فِيهِ لَا يُحْتَمَلْ ؟

يَا لَاعِبًا بِالزَّهْرِ فِي يَوْمِهِ لَمْ يَدْرِ غَيْرَ الزَّهَرْ
لَمْ يَدْرِ بَعْدُ الشَّوْكَ مِنْ يُتْمِهِ أَوْ يَلْقَ وَخْزَ الإِبَرْ
فِي شُغُلٍ بِالزَّهْرِ عَنْ أُمِّهِ وعن دواعي وَجْدِهَا بالصَّغَرْ
وُقِيتَ مَا يَخْبَأُ مِنْ لُؤْمِهِ دَهْرٌ كَفَى مِنْ لُؤْمِهِ مَا ظَهَرْ

يَا حَالِمًا مَا أَيْقَظَتْهُ الحَيَاهْ يَا لَاهِيًا لَا يَعِي
يَزِيدُ مَعْنَى يُتْمِهِ أَنْ أَرَاهْ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ !
غَدًا بِهَذَا القَفْرِ يَبْكِي أَبَاهْ يَسْقِي تُرَابَ القَبْرِ بِالأَدْمُعِ
وَيُوجِعُ القَلْبَ حَدِيثُ الرُّوَاه عَنْ ذَاهِبٍ وَلَّى وَلَمْ يَرْجِعِ

لَا تَحْبِسِي الدَّمْعَ عَلَى قَبْرِهِ أَيَّتُهَا الجَازِعَهْ
عِظَامُهُ تَهْفُو إِلَى قَطْرِهِ طوفي بِهَا دامِعَهْ
تَوَدُّ لو تَمْضِي لِدَي ذِكْرِهِ جُفُونُهَا طَائِعَةً هَامِعَهْ
فَيَغْلِبُ الدَّمْعُ عَلَى أَمْرِهِ وَالنَّارُ فِي مُهْجَتِهَا لَاذِعَهْ

الطنبف

من برج بابل

قرأت فى إحدى رسائل الأدب هذه النادرة اللطيفة :

« أهدى إلى ملك الهند ثياب وحلىّ ، فدعا بامرأتين له وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلية . وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له ، فغمزها باللباس تغضيناً بعينه ، فلحظه الملك . فاختارت المحظية الحلية لئلا يفطن للغمزة . ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه ، لكى تقر تلك فى نفس الملك ، وليظن أنها عادة أو خلقة لازمة . وصارت الثياب للأخرى » . قد يلتمس العذر لذاك الوزير المسكين بخوفه من غضب الملك وبطشه وحرصه على منصبه . ولكن ماعذر من يلزم النفس طائعاً مختاراً حركات وإشارات ونبرات وانتحال صفات دخيلة على الطبع الأصيل ، فتنقلب الفتاة أو الشاب إلى قرد يقلد أو غراب يحاكى الطاووس ! إن أشد ما يخدع المرء نفسه أن يتكلف ما يشذ عن طبعه ، ويجرده من شخصيته التى تميزه من غيره . إنما يدل ذلك على احتقار المرء نفسه واعتبارها من التفاهة بحيث تلتى وجودها وتستعير غيرها . وما عرف زمن كهذا العصر الميكانيكى الذى كثر من يخرجون فيه على غرار واحد كما تخرج الآلة صنوف الألوان والأنماط من متشابه المنتجات . ولعل مرجع هذه الظاهرة « الآلة السينمائية » أيضاً ! فإن ما يزينه المرحون والدعاة للمتهافتات والمتهافتين أغرى فتياتنا وشبابنا بمحاكاة مايصدر عن هذه الشخوص من حركة ترى أو لهجة تسمع . ولقد أصبح المثل الأعلى اليوم للفتاة والفتى بطلاً موهوماً أو نجمة لا سماء لها . وأضحى الجميع على إلمام دقيق بحياة الممثلات والممثلين مما لم يظفر به درس بطل من أبطال التاريخ ورجال الإنسانية . إن هذه الفطرة السليمة البسيطة التى تتجلى فى حركات أخواتنا الريفيات لما يحملنا على الميل إليهن والإعجاب بخلالهن الكريمة النقية . فكما تزهو فى ربوعهن الناضرة الوردة والوردة ، وشتان ما بينهما من نمق ورواء وشذا ، أو الشجرة والشجرة ، وشتان ما بينهما من ثمر وجنى ؛ كذلك ترى الفتاة والفتاة ، وشتان ما بينهما من سناء وسنا

مارى نسيم